كتابة الآخرية

د رشيد رايس

أستاذ محاضر أ بجقسم الآداب واللغة

العربية

جامعة تبسة

الملخص

تعتبر الكتابة عن الآخر ممارسة حضارية ضرورية للإنسانية، إلا أنها تتطلب مقاييس خاصة منها التمكن من المعجم الدلالي والسيميائي لهذا الآخر ، وهذا ما يطرحه هذا البحث الذي سيتناول مقاربة كاتب فرنسي / موبسان/ لشخصية تاريخية جزائرية، الشيخ بوعمامة .

résume

L'écriture de l'autre est un acte civilisationnel nécessaire à l'évolution des rapports humains. Néanmoins elle exige quelques spécificités ; entre autre la maitrise du lexique sémantique et sémiotique de cet autre .C'est la problématique exposée dans cet article qui traite l'approche d'un écrivain français / Guy de Maupassant/ d'une personnalité historique algérienne/ Cheikh Bouamama/.

إن تمثيل الآخرية يدخل في مجال الأجنبي الذي يسكننا سرا. وهذا الحضور الغريب مترسب فينا، من الاجتماعي. فهو من صنع ما نسميه بالهوية الثقافية. وهكذا ، تلعب الآخرية على عدة مستويات، منها ، مستوى النفي والإقصاء ومستوى الاحتضان.

في هذا المقال سنحاول معالجة التقاء كاتب فرنسي وهو موبسان Maupassant بموضوع جزائري، يتمثل في الشيخ بوعمامة وثورته ، حيث تبرز علاقة الأنا بالآخر . ولدراسة ذلك سنبدا بتوضيح مصطلح الآخرية حيث يرجع **Le Grand Robert de la Langue Française** الصادر سنة 1989 مصطلح **Altérité** الآخرية إلى أصله اللاتيني **ALTERITAS** من **Alter** بمعنى /**AUTRE**/ آخـــر .

الموســوعة الفلسفية العالمية (1990) ترجع بالكلمة إلى هيجل الذي كانت تعني الآخرية بالنسبة له :

« **البنية الأساسية لكل واقع تعين / تحديده النهائي** » [01] .

فحسب هيجل:

«الأشياء المنتهية تعتبر منتهية في حالة عدم وجود مفهوم واقعها في ذاتها،ومن ثم تصبح بحاجة لأشياء أخرى لتحديد هذا المفهوم»[02]

(رولان بارت) يرى أن هناك طريقتان لتشكيل الأجنبي:

« تشكيل يتماشى و الفكر السائد /Endoxale/، يرجع بنا إلى الرأي العام و إلى توافق البرجوازية الصغيرة. و تشكيل مخالف للرأي السائد، /Paradoxale/ يرسل إلى اختلاف حيوي و متعي، إلى لقاء مع الخارق، غير المألوف الذي يساعدنا على اكتشاف ما يخرج عن ذواتنا / Extranéité 0/ . و كفكرة سائدة تكمن الغرائبية في الاهتمام المبالغ فيه بأشكال البرجوازية الصغيرة المتعلقة باستهلاك الغريب» [03].

يظهر جليا من كلام (بارث) أن الغرب لا يسمح كثيرا بالإعتراف بالآخرية و هذا راجع لتمركزه حول ذاته، فالآخر غير موجود، و إن وجد فلا يمكن أن ينظر إليه إلا بتلك النظرة العجائبية الغرائبية، لأن الغرب بحاجة لهذه النظرة الغرائبية كونها تؤدي إلى إظهار تفوقه في كل الأحوال. و تحضرنا هنا قصة عجيبة يرويها(**GERALD BARIL**) في مقاله : **Repenser L'Altérité** [04] بيّن أنه حتى الاعتراف بهذه الآخرية يجب أن يكون مضبوطا بقواعد ، فالاعتراف بالغير فقط بوضعه في عالم غرائبي لا يعتبر اعترافا بقدر ما يعتبر نفيا غير مصرح به. و يقول (**BARIL**)، أستاذ، و باحث بال**Quebec** -و عندما وصل باحث يدعى (**Maurice GODELIER**) إلى خلاصة مفادها أنه تنبأ بأيام جميلة للأنتربولوجيا ، نهضت امرأة سوداء البشرة و قاطعت المتدخل بصوت مرتفع :

«يجب أن تموت الانتربولوجيا كي نستطيع نحن الأفارقة إيجاد هويتنا»

هذا التدخل يعني أن لا أحد و لا مجموعة بشرية تريد أن تعرف على أنها الغير أو الآخر بالنسبة لفرد أو مجموعة . أي أن تعرف بالمقارنة مع الآخر و أن الجميع يطالب بأن يكون هو ذاته.

هذا بالإضافة إلى أن فكرة الأنتروبولوجيا و المقارنات التي تجرى في هذا الميدان هي اختراع غربي من الأساس. فالغرب، كلما تكلم عن ذاته، كان بحاجة للآخرين، كي يثبت دوما أنه في تغير مستمر والآخرون في إستاتيكية مطبقة. ومن ثم يأتي هذا الرفض للأنتربولوجيا من طرف الكثير من المجموعات والشعوب، كون الأنتربولوجيا كدراسة وكعلم ،تعتمد عموما على هذا المنهج الذي يمثل حكم الغرب على الشعوب الأخرى بالبدائية [05]

و لتوضيح ذلك نتابع مع عابد الجابري قوله :

« نقرأ في قواميس الفكر الأوروبي و مصطلحات الفلسفة مايلي: الآخر: أحد المفاهيم الأساسية للفكر (كان يجب إضافة الأوربي) و بالتالي يستحيل تعريفه . و يقال في المقابل الذات \- Le même الذات-أو-الأنا - . أما هذه الأخيرة / الذات / فلا معنى لها سوى أنها المقابل / للآخر Autre /. تقابل تعارض وتضاد أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنه ب Identité.و هو يترجم اليوم بلفظ /الهوية/ أو/ العينية /. أي كون الشيء هو هو، عين نفسه» [06].

و إذا و دائما حسب الجابري :

« فالآخرية في الفكر الأوروبي مقولة أساسية مثلها مثل مقولة الهوية /.../ و مما له دلالة في هذا الصدد أن كلمة Altérité أي الآخرية ذات علاقة اشتقاقية ب Altérer أو Altération وتعنيان تغير الشيء وتحوله إلى الأسوأ (تعكر ، استحالة ، فساد) كما ترتبط

بالاشتقاق بكلمة Alternance التي تفيد التعاقب و التداول ومعنى ذلك أن مفهوم الآخرية /Altérité/ في الفكر الأوروبي ينطوي على السلب و النفي . بعبارة أخرى : يمكن القول إن ما يؤسس مفهوم الآخرية في مفهوم الفكر الأوربي ليس مطلق الاختلاف ، كما هو الحال في الفكر العربي بل الآخرية في الفكر الأوروبي مقولة تؤسسها فكرة السلب / أو النفي La négation / ف/الأنا / لا يفهم إلا بوصفه سلبا أو نفيا لـ/الآخر/» (07).

ومحمد عابد الجابري في تحليله للوضع لم يشعر بأنه يمكن أن يكون الأنا ، بل كل ما فعله هو أنه فكر أنه الآخر"المظلوم" بالنسبة للأنا الذي يسميه الأنا الأوربي. و الحقيقة أنه لا يوجد أنا أوربي بل يوجد أنا غربي(08) .

ومن ثم وقع اختياره على مصطلحات السلب و النفي **Négatif - Négation** و الحقيقة أن الفرق كبير بين الكلمتين و إن كانت كلمة / **Négation** / ذات علاقة اشتقاقية بـ **Négatif**.

نقول في يومياتنا إن موقف الحكام العرب من القضية الفلسطينية-مثلا- موقف سلبي لكن هذا لا يعني أن الحكام العرب يقفون موقف / نفي / تجاه القضية الفلسطينية. فهم لا ينقصون دراية و لا ينقصون وعيا بها من شعوب العالم العربي و العالم الإسلامي مجتمعين. و إن كانت الشعوب تموت كل يوم من اجل القضية الفلسطينية فهم (الحكام العرب) يحيون من جديد كل يوم. و من ثم لا يمكن أن نقول بأن هؤلاء الحكام ينفون القضية الفلسطينية.

أوردت هذا المثال لأصل إلى نتيجة مفادها أن موقف الجابري من مصطلح **Altérité** كان مبنيا على فكرة إيديولوجية لا تخرج عما ذكرته آنفا .

فلماذا اختار الجابري العلاقة الاشتقاقية لـ **Altérité** اللفظتين **Altérer - Altération** . لماذا لم يكتف بمصطلح **Alter** وهو الأصل اللاتيني لكلمة **Altérité** وذهب بهده الأخيرة إلى أصول لا نجدها إلا عنده. لماذا لم يواصل ويختر **Altercation** مثلا، و تعني هذه الكلمة « النقاش الحاد والمشاجرة» .

لفظ **Altercation** نجده معزولا في القواميس يحمل معنا واحدا «النقاش الحاد و المشاجرة « ولا توجد مشتقات لهذا اللفظ .

بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ الميزة التي نسبها الجابري للآخر وهو الذي نظر له من منظور غربي ، ألا وهي ميزة l'alternance التعاقب والتداول ، وهي ميزة جد إيجابية ، عكس الستاتيكية التي ذكرناها من قبل والتي أكد عليها جارودي كذلك ، وهل يعقل أن يسمح الغرب للآخر المقابل بامتلاك مثل هكذا ميزة ؟ ماذا يتبقى له إذن؟

دومينيك جرو Dominique GROUX يذهب إلى أن التجسيد المعاصر والأصح للمفهوم الذي يمثله مصطلح الآخر:

« كل إنسان ذات (Ego) وكل ذات (Ego) كي يوجد هو في حاجة إلى آخر Alter وهذا الأخير نفسه ذات (Ego) والأول هو(الآخر) /.l'alter في النهاية فإن الأمر يتعلق بآخر ذات Un Alter Ego ويجب أن نعترف بأنه ليس من السهل أن يجهد الإنسان نفسه في التفكير بأن الآخر، والذي هو الأجنبي للأسف هو آخر Un Alter ، يساويني فما بالك أن يجهد الإنسان نفسه ويفكر ويصل إلى أنه آخر بالنسبة للآخر»(09).

وهو ما يمكن التعبير عنه بـ (ذات) و (آخر) على أنهما نوعان يتميزان بالعمومية و الضبابية ،يمكن استعمالهما بكل سهولة نظريا، و ما أن يحدث تعارض بين هذه "الذات "و ذلك " الآخر" ، إلا و حدث التصوير والتشكيل للآخر و في نفس الوقت إعادة النظر للذات و هذا ما نجده في تعريف معجم **LE VOCABULAIRE TECHNIQUE ET CRITIQUE DE LA PHILOSOPHIE** :

«**الآخر هو أحد المفاهيم الأساسية للفكر و من ثم فإنه من المستحيل تعريفه**»[10]. مما دعا **François THIERREY** إلى الوصول إلى نتيجة مفادها:

« **أننا نجد فكرة الهوية و فكرة الآخرية في الفلسفة الديالكتيكية كفكرتين تتمتعان باهتمام كبير، و ذات المستوى الأول**» [11]

تشكيل الآخر

لا يمكن الكلام عن الآخر دون الكلام عن العناصر التي تدخل في تشكيله، حيث نجد ما هو ذاتي و ما هو موضوعي، ما هو فكري و ما هو عاطفي.

ومن بين العوامل المكونة لهدا الأخر و هي تعتبر تشويه للحقيقة نذكر خاصة:

الصورة النمطية: **Stéréotype**

الأحكام المسبقة / الجاهزة/ : **Préjugés**

Le Stéréotype

مصطلح يتميز بالغموض و الميعة، تقابله في اللغة العربية مجموعة من المصطلحات لا تقل غموضا ولا تقل تشويها فنجد كلمة Stéréotype تعني :

ما يمكن أن يطلق عليه بالفكرة الجاهزة تجاه شخص ما أو وضع ما،كما يطلق عليه النموذج الجاهز، النمط الجاهز، أو الصورة النمطية. و هو من ثم يعكس موقفا أو رأيا متواضعا و غالبا ما يكون هذا الموقف أو هذا الرأي خاطئ ، غير صحيح . و هو أن نقرر مسبقا بأن هذا الشخص أو ذاك غبي أو حقير من دون معرفته، بل بسبب لون بشرته أو لون شعر رأسه أو بسب شكله. و هذا ما يمكن اعتباره مقللا من شأن الآخر. موقف انغلاق تجاه الآخر .

le Stéréotype يدخل ضمن مجال الأحكام – فكرة نكونها عن الآخر ويصعب اقتلاعها.

les Stéréotypes، هي التي تكون مصوغات العنصرية والشعور بالتفوق العرقي **Xénophobie/ (Homophobie)**

و يحمل مفهوم **Stéréotype** مفهوم السلبية و لا يحمل مفهوما ايجابيا تجاه الشخص – المقصود – وإنما اعتباره طريقة للإنتقاص من الغير و سحب صفة السلبية عليه .

تعود أصول كلمة **Stéréotype** إلى اللاتينية **Stéréos** التي تعني صلب **Typos** وتعني **Type**/نمط ، و تعني بصمة – حرف للطباعة و اعتبر من مصطلحات الطابعة – حيث استعمله (**Firmin Aidot** 1797) قصد به / حرف طباعة صلب/ يستعمل لإعادة الطباعة .

و استعملت الأكاديمية الفرنسية سنة 1635 مشتقات الكلمة **Stéréotypé**، **Stéréotypage** ، **Stéréotyper** ، و في القرن الثامن عشر كانت الكلمة تشير إلى طباعة

الأحرف بالاعتماد على كومة حديدية صلبة نقشت عليها الحروف و من ثم جاء مفهوم الصلابة التي تسمح بإعادة الإنتاج مرات عديدة و هكذا يمكن القول بأن **Le Stéréotype** هو ما يخرج من قالب .

مع القرن التاسع عشر أصبح للكلمة معنى جديد مجازي: فكرة مكررة، حكم مسبق . و أصبح مفهوم الكلمة سلبيا حيث كان ينعت العبارات المستهلكة كما جاء في منجد لاروس لسنوات (1865-1876) بأن Le **Stéréotype** تعني رأيا خاليا من أي أصالة.

دخل مصطلح **Stéréotype** المجال الأدبي بقوة مع انتشار الدراسات المقارنة و هذا مع الاهتمام المتزايد بالصورولوجيا[12].

و يعرف (مورا - **J.M.MOURA**) :

« **إن مفهوم Stéréotype ـــ الصورة النمطية ، غامض. و من العادة أن نفرق بين الكليشيه والصورة النمطية؛ الأول ينتمي إلى الأسلوبية ويعرف على أنه أثر لأسلوب غامض من حيث الاستعمال و تمظهر لذهنية تقليد تام. أما الثاني فهو فكرة مسبقة، إيمان مبالغ فيه، يتعلقان بقول، بنوع، بشكل ما ولا يهم الميدان الأدبي فقط.** » [13].

و يذهب (مورا - **J.M.MOURA**) إلى حد تحديد نوع من الصور النمطية يسميه: **stereotypes exotiques** وذلك للتعبير عن التصورات الشائعة عند الغرب لما يسمى 'بالعوالم الغرائبية' ومن ثم المصطلحات المتداولة في هدا السياق[14].

ومن الملاحظ أن الغرب كان السباق و الأكثر اهتماما بدراسة ما يمكن أن نسميه بالصورة النمطية، سواء في الأدب أم علم الخرافة والأسطورة، أم في الأنتربولوجيا و الأثنولوجيا. سواء تعلق الأمر بصورته لدى الأمم و الثقافات الأخرى أو تعلق الأمر بصورة الآخر في الثقافة الغربية ، دون أن ننسى التركيز على صورته في الغرب ذاته.

و كان لهذه الدراسات التي يمكن أن نقول بأنها محلية أي غربية غربية دور كبير في تصحيح الكثير من الأخطاء و الرؤى المشوهة المتبادلة و إعادة دفع العلاقات على مبادئ و أسس جديدة.

أما فيما يخص دراسة الصور النمطية للغرب لدى الأمم الأخرى ودراسة نمطية هذه الأمم لدى الغرب فقد لعبت دورا تاريخيا مهما في معرفة الغرب وكشف أخطائه مثل ما سمحت لهذا الغرب بمعرفة الآخرين .

موباسون والشيخ بوعمامة

وصل (موبسان Maupassant) ميناء الجزائر في **6** جويلية 1881 كصحافي. جاء من لثلاثة أسباب

- ليجري تحقيقا ميدانيا على ثورة بوعمامة. بوعمامة الجيب- كما يسميه-
- مرضه الذي كان يشعره دائما بالبرودة في بلده، كان إلى درجة كبيرة وراء هذا السفر.
- سبب آخر نراه مهما لموضوعنا ويتمثل في قول فلوبير له :

« نستطيع تخيل الصحراء ، الرمال ، وأبا الهول قبل مشاهدته ، ولكن ما لا يمكن تخيله قط ، هو رأس حلاق دقن تركي مقع أمام بابه.

ألا يعتبر من الفضولي أكثر معرفة ما يحدث في هذا الرأس»[15]

و لكن هل استطاع (موبسان Maupassant) أن يعرف ما يجري داخل ذلك الرأس ؟ هل استطاع أن ينفذ إلى ما يفكر فيه أبناء العالم الآخر الذي جاء ليكتشفه؟

لمعرفة ذلك اخترت من المجموعة القصصية Au Soleil / في الشمس. التي خصص(موبسان Maupassant كل وقائعها إلى الجزائر، قصة بوعمامة.

و سنركز بحثنا على " الجزائري " كإنسان ، يحيا و يفكر و يشعر أو بعبارة أخرى على " الجزائري " و ما يحدث في " دماغه " كما يقول (فلوبير).

بوعمامة أو البطولة اللامعترف بها

عندما وصل(موبسان Maupassant) إلى الجزائر عن طريق البحر في السادس من شهر جويلية 1881 كان يهدف إلى إجراء تحقيق صحافي لصحيفة Le Gaulois حول قضية الشيخ بوعمامة التي كانت قد وصلت أصداءها إلى العاصمة الفرنسية ، حيث أن ثورة بوعمامة من أولاد سيدي الشيخ قد استمرت حينها لمدة سنتين في وقت كانت تعتقد فيه فرنسا أنها قد بسطت سيطرتها على كل التراب الجزائري .

وفي قصة " بوعمامة " يحاول (موبسان Maupassant) أن يصف لنا الشخص من دون أن تسمح له الظروف بمقابلته شخصيا، أو الإطلاع على ما كان يقوم به مباشرة من دون وسطاء ، ومع ذلك ففي هذه القصة يرصد (موبسان Maupassant) لبوعمامة صورة تميزت بالدهاء و البطولة بلغة لا تخلو من الأسلوب الغرائبي في شيء . فهو في الوقت الذي يشير فيه إلى دهاء الرجل وذكائه ، و إلى المتاعب التي سببها للجيش الفرنسي، يضعه في عالم خيالي، يكاد لا توجد له علاقة بالوجود، فيقول :

« يعتقد نفسه ماكرا من يقول ، حتى اليوم ، من كان بوعمامة ، هذا المهرج غير المعروف ، الذي بعد أن أذهل جيشنا في إفريقيا إختفى كلية حتى أصبح يعتقد بأنه لم يوجد أبدا »[16]

نلاحظ هنا أن الرجل الذي أتعب الجيوش الغربية إلى درجة الجنون ، ليس سوى رجلا مهرجا.فنحن نعرف جيدا أن كلمة **farceur** ،تعني باللغة الفرنسية من لا يفكر و من ليس من حقه التفكير أو التخطيط و تعود صفة **farceur** إلى كلمة **farce**، وهذه الأخيرة أطلقت على نوع أدبي ظهر بقوة في العصر الكلاسيكي وهو ما يسمى بالمسرحية الهزلية/**la farce** التي تقدم مواضيعها إلى الطبقة الدنيا في المجتمع الكلاسيكي آنذاك. هذه الطبقة التي يعتبرها العقل الكلاسيكي، طبقة العامة من الناس، الذين ليس من حقهم و لا بمقدورهم التفكير مثل النبلاء الذين يقودون المجتمع.

فلا يصح لـ(موبسان Maupassant) و هو الكاتب الطبيعي اليساري أن يمنح بوعمامة صفة الحكمة و القدرة على التخطيط، أو وصفه بالإستراتيجي، لأن هذه الصفات تتطلب إنسانا يفكر و يخطط و من ثم فهو عقلاني، والعقلاني لا يمكن أن يكون إلا من الغرب، و الاعتراف بالعقلانية لغير الغربيين يعني نزع شرعية الاستعمار الذي جاء " ليحضر الآخر و يجعله يفكر " بالإضافة إلى وصف أكثر من سنتين من النضال بالتهريج. يصور (موبسان Maupassant) الشيخ بوعمامة و كأنه شيخ غير موجود ، تتناول قصته بين الناس، و منهم أفراد الجيش الفرنسي، لكن لا أحد يعرفه . خرافة تتناقلها الأفواه و في كل مرة تحكى بطريقة، و ما على العقل إلا أن يحكم عليها و يرفضها أو يصوغها بطريقة عقلانية تخدم أغراضا محددة:

« **ضباط موثوق بهم ، كانوا يعتقدون معرفته ، وصفوه لي بطريقة ما ، أشخاص آخرون ليسوا أقل نزاهة ، متأكدين من رؤيته و صفوه لي بطريقة أخرى** »[17]

و عندما يستعصى على العقل تحديد معالم " الشيء الخرافي هناك " فلابد من صياغته و تحديد كنهه و أبعاده.

«**في كل الأحوال، لم يكن المتسكع سوى رئيسا لعصابة، قليلة العدد، أجبرتهم المجاعة من دون شك على التمرد و العصيان**»[18]

و هنا يدخل الحكم المسبق / Le Préjugé لحل مشكلة الكاتب الذي لم يستطع معرفة الحقيقة ، فبعد أن يذكر الكاتب ما قاله بعض الضباط ، يضيف «**ولكن أشخاص آخرون ليسوا أقل صدقا، تأكدوا من رؤيته** » ، وهنا يلتجيء الكاتب إلى عبارة " في كل الحالات " ، و يبدأ في إصدار أحكام سابقة لمعرفته القطعية للحقيقة .في حين أن الحقيقة هنا ليست خيالا ولا خرافة بل هي تتمثل في الشيخ بوعمامة و رفقائه .

بعد أن يمنع (موبسان Maupassant) نفسه منح بوعمامة صفة حكمة التخطيط و الذكاء و يمنعه من صفة الوجود الواقعي، يجعله شبيها إلى حد ما بالخرافة و اللاواقع.

يواصل (موبسان Maupassant) ليحرم الشيخ بوعمامة، و رفقائه ، ومن ثم أي مواطن جزائري من ميزة إنسانية، حتى لا نقول حضارية لأن الغرب لا يعترف أساسا بشيء اسمه الحضارة لدى الشرق، ويتمثل ذلك في الدفاع عن الكرامة وعن الحق في الوجود، لأن بوعمامة و رفقائه لا يمكن تفسير سلوكاتهم، و من ثم ثورتهم إلا بالغريزة والتوحش.

ويحكم (موبسان Maupassant) قائلا :

« **أجبرتهم من دون شك المجاعة على التمرد ، هؤلاء الناس لم يقاتلوا إلا ليفرغوا المطامر أو لينهبوا القوافل** »
19

لولا المجاعة وميول هؤلاء السكان للهمجية و السرقة ما كانت ثورة بوعمامة أن تكون من الأساس . هذا ما يريد قوله (موبسان Maupassant)

الذي يضيف :

« **يظهر بأنهم لم يفعلوا ذلك، لا عن حقد ، ولا عن تطرف ديني ولكن بسبب المجاعة** .» [20]

المفارقة العجيبة هنا هو أن(موبسان **Maupassant**) في الوقت الذي يجعل فيه الجزائري لا يثور إلا من أجل بطنه أي يجعله غريزيا ، يثور فقط من أجل تلبية إحدى غرائزه يجعله لا يحقد ، و الحقد أمر غريزي و تجاوز الأحقاد يعتبر سلوك حضاري، أم أن موبسان يفكر مثل (فرنون بروديل) بأن الأحقاد هي التي تبني الحضارات. ومن ثمة فإنه ليس من حق الجزائري أن يشعر بالحقد تجاه المستعمر لأنه ليس من حقه أن يفكر في بناء حضارة.

بالإضافة إلى ذلك فهو لا يريد أن يعترف بحق الشعب في الدفاع عن دينه وإنما يسمي ذلك التطرف الديني.

و عندما يكون بوعمامة قادرا على تمويه الجيش الفرنسي و إيهامه بوجوده في عدة أماكن في نفس الوقت :

« **في ذات اليوم تشير البرقيات الرسمية لوجود بوعامة في نقطتين تبتعد كلاهما عن الأخرى مائة و خمسون كيلومترا** »[21] .

يرجع موبسان ذلك لعجز هذا الجيش و ضباطه و تراخيهم عن أداء مهامهم، عوض الاعتراف بتخطيط بوعمامة، معتمدا في ذلك على مصادر هو ذاته لا يثق فيها[22] .و يرجع أسباب عدم قدرة العدو على ملاحقة بوعمامة إلى التقاعس وعدم الاكتراث لدى ضباط الجيش الفرنسي :

« بدا لي الكاريكاتور الروحي ، الذي ألفه أحد المعمرين بطريقة جيدة يوضح القضية ، ويمثل هذا الكاريكاتور جنرالا ضخما ، مضفورا ، ذات شوارب، يقف مقابل الصحراء ، يتأمل الجنرال الضخم ، بأعين محتارة، البلد الشاسع، العاري ، الكثير الأودية و الذي لا يمكن رؤية حدوده إطلاقا ، و يتمتم : " إنهم هنا !... في مكان ما ! " ثم وهو يتوجه إلى ضباط الأوامر و من دون القيام بأي حركة ينطق الضابط المتواجد خلف الجنرال بصوت ثابت: " أبرقوا للحكومة بأن العدو يوجد أمامي و إني بدأت في متابعته " »[23]

ويقسم (موبسان Maupassant) الشعب الجزائري إلى قبائل ومجموعات، يجعل بعضها يتميز عن البعض الآخر، دون أن يتعدّى هذا التمييز الجانب الفطري والطبيعي عند كامل المجموعات التي يقف عندها عندما يقول :

« في محيط الحلفاء هذا ، في هذه الغابة الخضراء الواسعة /الفسيحة ، الجامدة تحت السماء المشتعل كانت تعيش أمة حقيقية ، أحشاد فوضوية من الرجال ذات البشرة السوداء ، مغامرون ، طردهم الحرمان أو أمور أخرى من بلادهم . متوحشون ، وخطرون أكثر من العرب ، معزولون بعيدا عن كل مدينة، بعيدا عن كل قانون ، بعيدا عن كل قوى .لنقل أنهم فعلوا ما فعل أجدادهم فوق الأراضي الجديدة لقد كانوا عنيفين ، دمويين ، مرهبين تجاه السكان البدائيين /.../ لقد كان ثأر العرب رهيبا»[24]

الكل بدائي ، متوحش ، و المجموعة التي يسميها (موبسان Maupassant) بالأمة الحقيقية ، ليست سوى حشدا فوضويا ذات البشرة السّمراء . حشد مغامر يعيش في عزلة ، بعيدا عن الحضر ، بعيدا عن القوانين ، بعيدا عن الحضارة.

وعندما يصف(موبسان Maupassant) هؤلاء المغامرين بالأكثر بطشا و دموية من العرب، فقد جعل الجميع يشترك في هذه الميزات . لا تتفوق مجموعة على المجموعة الأخرى ، إلا في الهمجية و البدائية و الحيوانية .

و إن حدث و اعترف (موبسان Maupassant) لهذه البشرية المنحطة بخصال إنسانية تقربها إلى الحضارة ، فإنه ليزيد من التأكيد على تخلفها وانحطاطها وشذوذها :

« كان يسمى Blas Rojo Pelisaire **،كان مع زملاء له يوم 10 جوان مساءا ،يقود قافلة متكونة من سبعة عربات ، عندما وجدوا في الطريق عربات أخرى محطمة. بقي واحد منهم حيا، بدؤوا في علاجه لكن فرقة من العرب أنقضت عليه. لم يكن للأسبان إلا بندقية واحدة، فسلموا أنفسهم، إلا أنهم قتلوا جميعا، عدى (بلاز راجوا)، الذي احتفظوا به، من دون شك بسبب شبابه وجمال وجهه. نعلم أن العرب ليسوا أبدا، لا مبالين تجاه جمال الرجال»**[25]

ومن دون أي يقدم أي سبب على وجود الأسبان في هذه الأراضي، بالرغم من الموقف المتحفظ لـ(موبسان Maupassant) تجاه الكولون ، فإنه يجعل منهم ضحايا و يؤكد مقابل ذلك على بربرية رجال الشيخ بوعمامة في كل الأحوال و في كل الأوضاع ، و بالإضافة إلى تفسير حفاظهم على حياة أسير على انه ليس بالعمل الإنساني بل بالعمل الشاذ و المتوحش .

و مقابل هذه الوحشية التي يصور بها (موبسان Maupassant) رجال الشيخ بوعمامة يضفي عليهم نوعا من " السرائبية " عندما يواجهون الجيش الفرنسي، ويجعلهم قريبين إلى الخيال من الوجود الواقعي، و إن كان هذا لا يمنع الجيوش الفرنسية من التغلب عليهم في حين تصعب متابعتهم :

« عندما يهاجمون ، يمكن الانتصار عليهم ، وكنا ننتصر عليهم دائما تقريبا، بالرغم من شجاعتهم لكن لا نستطيع إطلاقا متابعتهم، لا يمكن أبدا اللحاق بهم عندما يهربون .كما أنهم يتجنبون ببراعة اللقاءات و يكتفون عموما بمناوشة فرقنا. يهاجمون بإندفاع، و بعجلة عنيفة من أحصنتهم الهزيلة يصلون كعاصفة ثياب متموجة و غبار»[26]

إنه الشرق بالنسبة للغرب، لا يستطيع المواجهة و في حالة مواجهته يصبح سرابا ، أليس هذا هو العالم الخيالي الذي يريده الغرب للشرق.

و بوعمامة رجل يكاد يكون خرافة، بل هو خرافة، لا صلة تربطها بالواقع حسب(موبسان Maupassant) و الحقيقة أن هذا الأخير لم يرد الاعتراف بأن في الحروب استراتيجيات مختلفة، حسب الوضع، المكان، الزمان و التسلح ... إلخ. ولكن يبقى المهم هو البحث عن الإنتصار في كل الأحوال.

إلا أن (موبسان) يبدو أنه يجهل أو يرفض منطقا الآخر الذي هو في وضع آخر و يمكن أن نرجح أنه يجهل هذا المنطق الآخر. كون فرنسا لم تتعرض للغزو من قبل، و من ثم ف (موبسان) لم يكن يعرف أن هناك ما يسمى بحروب "العصابات"، "المجموعات" ،"المظلومون".

الهوامش

Gerald BARIL : 'Repenser L'Altérité', Altérité : vol.1, No 01,(1) Quebec,Automne 1996

http:// agora.qc.ca/mot nsf/dossier/Altérité.

loc. cit.[2] (

Roland BARTHES :cité par J. M. MOURA : La Littérature des[3] (
lointains-Histoire de l'Exotisme Européen au xx siècle- _:
Honoré Champion Editeur, Paris, 1998, pp.20.2.

Gerald BARIL : Loc. cit.[4] (

(5) هاني إدريس : نقد الانتربولوجيا والتمركز الغربي، حالة أفريقيا. الكلمة :العدد 2، السنة الأولى،1994، بيروت، لبنان. ص91.92

أنظر ما يقوله ادوارد سعيد حول المقارنة، وخاصة الأدب المقارن كحقل من حقول التخصص في العلوم الإنسانية وعلاقته بالامبريالية:

ادوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو د يب، دار ألآداب، بيروت، ط2 ، 1998،ص ص.113، 116

أنظر كذلك : L. J. CALVET : Linguistique et Colonialisme, Petite Bibliothèque de Payot, Paris, 2002, p.42 à p.49

(6) محمد عايد الجابري :" ألغرب والاسلام"، فكر ونقد ، العدد03، السنة الأولى، 1997، الرباط،ص05

(7) المرجع نفسه، ص05، 06.

(8) المرجع نفسه، ص.06

(9) Dominique GROUX : L'altérité, l'Harmattan, Paris, 2003, pp.32,33.

(10) Le vocabulaire Technique et Critique : cité par Hubert GOURDON :

Politiques , Revue Algérienne des Sciences Juridiques Economiques et Volume xI No.1, Mars ,1974, Alger, p.101.

(11) Loc. cit

(12) اعتمدنا كثيرا في سرد هذه التفصيلات على.**DITL** : **Loc**. **cit** ويوضح**S**. **GILMAN** طبيعة الصور النمطية بقوله:

« Les stéréotypes reflètent un réseau grossier de représentations mentales du monde. Ce sont des palimpsestes sur lesquels les représentations bipolaires initiales se laissent encore vaguement déchiffrer. Leur structure en dyade, qui reflète ce stade premier où nous cherchions à refouler la rupture que nous ressentions dans le monde, offre l'illusion nécessaire de la dichotomie entre le moi et l'objet. Le stéréoty.pe perpétue un sens de la différence qui nous est indispensable: différence entre le moi et l'objet, lequel devient 1' « Autre » dans nos représentations mentales stéréotypées. La frontière qui distinguerait l'Autre des projections du moi n'existe pas, et doit dès lors être introjectée dans un absolu. Pour renforcer cette illusion de l'absolu, cette frontière dyna— mique offre la même capacité à se modifier que le moi. Ces modifications se laissent voir dans les relations fluctuantes des stéréotypes antithétiques, miroirs parallèles des représentations « bonnes » et « mauvaises » du moi et de l'Autre. Mais cette frontière entre le « bon » et le «mauvais » réagit aux tensions qui se produisent au sein de la psyché. Nous développons une capacité d'identification avant même de former un langa rationnel Comme le fait observer Mélanie Klein : «L'identification ebn stade préliminaire non seulement de la formation du symbole mais aussi de l'évolution de la parole et de la sublimation. Celle-ci s'é.ab1iau moyen de la formation du symbole, des fantasmes libidinaux s'attachant, sur le mode du symbolisme sexuel, à des objets, des activités. et des interêts particuliers. » La première phase libidinale est liée à l'élaboration d'un langage d'image symboliques et codées qui reflètent l'organisation bipolaire de la psyché. Des déplacements paradigmatiques peuvent se produire dans nos représentations du monde lorsque celles-ci sont exprimées de façon symbolique. Nous pouvons glisser de la crainte à la glorification de l'autre, de la haine à l'amour on peut trouver au plus négatif des stéréotypes un contre poids positif explicite. Comme les image changent, les stéréotype évoluent: il sont de nature protéiforme et non rigide. »

Sander L. GILMAN : op. cit. pp.14,15

(13) J. M. MOURA :Lire L’exotisme, Edition du Nord, Paris , 1992, p.100.

« Quant aux stéréotypes, leur nom même dénote la fixité comme le trait le plus saillant de ce mode particulier d’appréhension intellectuelle. Par contre, le préjugé peut, dans un esprit ouvert, fondre au feu d’une meilleure information, tout à coup permise. Il est davantage une opinion insuffisamment étayée d’expérience qu’une image. et son comportement à l’égard de la durée le prouve. **»** **J.M.MOURA :Loc. cit**

(14) Ibid : p.103

(15) Guy de Maupassant : Au soleil Présentation de Denis BRAHIMI, Le Sycomore, Paris, 1982.., p.51

(16) Maupassant : op.cit . p.79

(17) Ibid. p.80

(18) Ibid. p.85

(19) Ibid. p.80

(20) Ibid. p.86

(21) loc. cit.

(22) MAUPASSANT: op. cit. p.90

(23) Ibid ; p.86

(24) ibid. p.90

(25)Ibid. p.86

(26) loc.cit.